

بنت الهدى الصدر؛ زينب العصر



تمر علينا هذه الايام ذكرى شهادة السيد محمد باقر الصدر واخته العلوية بنت الهدى قدس سرهما، هذا الرجل اتصف بمواصفات قل نظيرها وهذه اخته التي ام تعرف حق معرفتها لا في حياتها ولا بعدها لتفتدي المرأة اليوم بها حيث تفتقد مثلها هذه الايام. هي كانت حقا زينب عصرا وجاهدت وصمدت كزينب سلام [] عليها.

ها هي ذكرى شهادة المفكر الكبير والمجاهد العظيم السيد محمد باقر الصدر، وأخته العالمة المريضية العلوية آمنة الصدر الملقبة بـ "بنت الهدى" تطل علينا من جديد حاملة العظات والعبر، ورغم أن الكثيرين قد كتبوا خلال الاربعين عاما مروا على هذه الواقعة الأليمة فتركوا رصيذاً مهماً على صعيد توضيح أبعاد الشخصيتين الكريمتين، فإن الحديث عنهما ما يزال غصّاً يانعاً في جوانبه المختلفة العلمية والاجتماعية والسياسية.

هذا وإن الحديث عن الشهيدة بنت الهدى لا يكاد ينفصل عن الحديث عن أخيها وأستاذها الشهيد الصدر، ويبدو من غير الممكن فهم شخصية الشهيدة دون المرور ولو بشكل سريع بشخصية الشهيد الصدر والعلاقة

ففي ذكرى الواحد و الأربعين لاستشهادها طلبنا من احدي تلامذتها التي تشرفت ان تتربى على يد طاهرة كآمنة الصدر تذكر لنا بعض جوانب حياتها . هذه منى زلزلة تلميذة من تلميذات الشهيدة بنت الهدى رضوان ا[] تعالى عليها ، خريجة كلية الهندسة عام 1978 ، عضو في المجلس الأعلى الإسلامي ، عضو سابق في مجلس النواب وعضو في الجمعية الوطنية التي تتحدث عن ذكرياتها وما تعلمت من استاذتها قبل اكثر من 40 عاما :

السؤال: كيف يمكن التعريف على شخصية السيدة بنت الهدى وحياتها ونضالها ، اهدافها :

كانت حركة الشهيدة بنت الهدى مميزة فقد تعرفت الفتيات عليها كمشرفة لمدارس الزهراء صلوات ا[] عليها ، أما كتاباتها فقد سبق دورها التربوي في مدارس الزهراء عليها السلام بسنوات ، فكانت مقالاتها في مجلة الأضواء مخصصة للنهوض بالمرأة لتأخذ دورها المهمش بفعل سياستين مختلفتي الاتجاه تعمل كالمقص لتحويل دور المرأة العراقية إلى دور دمية جميلة سواء في داخل اسرتها ومجتمعها ، فلم يسمح للمرأة العراقية أن تكون راعية لبيت زوجها . كان عيباً أن تقول الواحدة في منتصف القرن العشرين ان عملها هو ربة بيت!!!! فهربت المرأة من البيت الى الوظيفة فوجدت الوظيفة تحصر نشاطها بارضاء مديرها بدلا عن ابيها او زوجها وتقدم لها اموالا نهاية كل شهر.

في مثل هذه الاجواء المسمومة شممت الشهيدة بنت الهدى عن ساعديها وتحركت بجد واخلاص وطاعة لمرجعيتها وقد تميز تحركها التربوي في ذلك الوقت بألقاء محاضرات وهي بعملها هذا سبقت كل التربويات واقدمت على القاء المحاضرات بوسط اجتماعي وبلغة تفهمها النساء سواءً بقصتها او مقالاتها والتميز بهذا الدور هي شخصيتها الفاعلة وقلمها الجذاب فقد كانت شاعرة وكتبت الكثير من القصص وطبعتها وكنا نقوم بتوزيعها .

كنا في ذلك الوقت في مرحلة المتوسطة ، الذي كان يثير الاعجاب والحماس في شخصيتها انها لم تدخل المدرسة!! ولم تملك المال لتشتري الكتاب! كانت عائلة متعففة لاتصرف على نفسها اموال الخمس التي

تصلهم من محبيهم. فكانت هي بحد ذاتها حجة على كل النساء اللاتي يتكاسلن عن التعلم في البيت والتفقه بامور دينهن.

كان التلفزيون ومجلات الموضة تقوم مقام الموبايل في يومنا هذا، فقد كنا اسيرات الموضة ومتسمرين امام التلفزيون الذي يهزأ بقيمنا وتراثنا ويدعوننا الى التحلل الاخلاقي لنحصل على اعجاب الشباب والمجتمع، كانت الافلام المصرية ومجلة حواء تربط بين الحرية ومظهر السفور والتحلل ومع العلم والجهل والتخلف والعباءة من جهة اخرى ، فكان عيباً ان تدخل الفتاة الجامعة بالعباءة!...

وكان قبلاً ان تستري نفسك، وتخلفا ان رفضت مصافحة رجل، لكن بنت الهدى نسجت من القمص وكتبت المقالات لتعري هذا الثقيف الزائف للحقائق فقد كانت تحضر مناقشات مسائية في بيوت بغداد قادمة من النجف مع النساء الى وقت متأخر بالليل تنتهي دائما بارتداء الحجاب والتوبة الى الله، كانت النسوة اسرع اهتداء من رجالهن وخصوصا الطبقة المثقفة والضباط لانتشار حفلات المجون والسكر في أوساطهم، كانت الخلافات الزوجية بسبب رفض الزوجة مرافقة زوجها لتلك الحفلات ورفضها ان تهئ له او لاصدقائه موائد الخمر! نعم كانت بنت الهدى تختلط وتناقش هكذا مستوى من النساء وتهديهم للحق...

السؤال: هل كان لنشاطاتها التربوية ثمرة واضحة اجتماعيا؟

اغاط هذا النشاط الفرق الحزبية التي تمنع الكتاب الديني لان صدام في وقتها قد اصدر كتيباً يصف الدين والتدين بالتخلف والحجاب بالرجعية!

وأذكر أن أختي أوقفها المديرية وفتشت حقيبتها لتجد قصة لبنت الهدى فتصرخ كمن وجد ثعباناً في الحقيبة، واصبحت في السبعينيات كتب بنت الهدى تتداول سرا خوفاً من مصادرتها!

كما حاول حزب البعث اخافتها فقد اتصلنا على شركة تاكسي معروفة لكي يوصل بنت الهدى بوقت متأخر من ليل ساخن بالمناقشات الى بيتها في بغداد/الكاظمة فمنعوه ان يرسل سيارة وبعثوا بسيارتهم وحاول سائقهم التحرش بكلمات معها ورفض الوقوف عندما طلبت منه التوقف بحجة انه سكران ففتحت باب السيارة

فاضطر للتوقف ونزلت وأخذت سيارة اجرة اخر من الشارع ورجعت للبيت لتكتب شعرها الخالد الذي ترده المئات من تلميذاتها وهن تحت سياط التعذيب بالسجون:

انا كنت اعلم ان درب الحق بالاشواك حافل خال من الريحان ينشر عطره بين الجداول...

السؤال: عاشت السيدة آمنة الصدر ايام انطلاق الثورة الإسلامية في إيران وقد قال أخوها في قائد هذه الثورة: " ذوبوا في الإمام الخميني كما هو ذاب في الاسلام". ما كان رأيها بهذه الانطلاقة وما كان دورها؟

مع انتصار الثورة الاسلامية كانت تهنئة المرجع الشهيد الامام محمدباقر الصدر للامام الخميني بانتصارها وابتهاج الشعب العراقي بها كأول مرجع واول شعب يعلن عن تأييده لانتصار الثورة دون حكومته الغاشمة سبب رعباً في داخل الاوساط البعثية فاعتقلوا الشهيد الصدر فخرجت بنت الهدى الى حرم جدها صارخة الظليمة الظليمة قد اعتقل مرجعكم.

فخرجت التظاهرات في النجف وبغداد والبصرة ولبنان فكانت انتفاضة 17 رجب فاطلقوا سراحه.

فجاءت الناس تتوافد على بيته معلنة تاييدها له وبالمقابل واجهت حكومة البعث الصدامي وبالحديد والنار تاييد الشعب لتهنئة الامام الصدر للامام الخميني فامتلت السجون بالشباب والشابات المثقفات وتم حجز العوائل ومصادرة املاكهم وعلى حين غرة يتفاجأ الشعب العراقي بانه فاقد لهويته وارضه وماله ومطروود على الحدود بلا اولاده وبلا اموال تجارته، فاصبح اكثر من مليون عراقي خارج الحدود مهجّر قسراً وكثير من العراقيين قد اخذوا فتوى بالخروج خارج العراق للعمل بفتوى الشهيد الصدر في تحرير العراق، حيث كان الشهيد الصدر يعلم جيداً باساليب البعثية القمعية لهذا اوصى وهو في حياته ان اذا

حوصر ومنع من الخروج فعين قيادة نائبة في خارج الوطن تعمل لاستحالة عملها بالداخل لتخليص الشعب العراقي من هذه العصاة البعثية.

بنت الهدى كما قالت لي سكرتيرة صدام ونشرتها في مجلة المجاهدة بأن جليها صدام الى القصر ورأها مرتدية لجلباب اسود طويل وخيرها صدام بين ان يطلق سراخاها مقابل ان تظهر على شاشة التلفزيون وتنال بسوء الامام الخميني قدس سره فرفضت فاعدمت برصاص داخل القصر.

لقد اعتقلت مع اخيها دون بقية افراد اسرته وتصوروا كما قال احد البعثيين بعد سنوات من اعدامهما ستستقر البلاد واقنعوهم بان اعدامهما سينهي ثورة الناس عليهم وتنتهي حالة الاضطرابات والاعتقالات، لكن الحقيقة المرة ان البعثيين لم يناموا ليلة هائلة منذ ذلك اليوم، فقد اجبروا الشعب العراقي باشغال حروب ثلاث وعلى مدى ثلاثين عاما تدمر كل ما بناه العراق، وادى بالنهاية الى سقوط صدام بعد ان سمح لقوات التحالف الدخول لتحفظ سرفاتها من النفط ومنعت الناس من دخولها وتركوهم يعبثون ببقية الوزارات.

السؤال: باعتقادي انها طُلمت في حياتها وبعد استشهادها بما ان المجتمع لا يعرفها ولا تتخذها المرارة قدوة لها. ما رايك؟

في الحقيقة هي رحلت عند بارئها، لكن الذي خسر هو الشعب العراقي لانه يفتقد الى قصص ناجحة ميدانية وبنت الهدى والثلة اللاتي عملن معها لو تم الحديث عنهن لافتخرت النساء وخصوصاً اليوم حيث نجد الكثير من الفتيات يتحججن بعدم قدرتهن على اكمال التعليم لانهن داخل البيت او فقيرات لا يملكون ملابس مناسبة او يتعللن بانهن يتيمات لكن لو طرحنا بنت الهدى لوجدناها هي افضل نموذج عراقي وشيعي فهي يتيمة الاب بعمر السنين وامية لم تدخل مدرسة وضحت بكل مواهبها وفي ذروة نجاحها الباهر من اجل ان توقف مشروع خطير يفرق الشيعة عن مرجعيتها واشغال الفتن بما يسمى مرجعية عربية قبال مرجعية الامام الخميني، فرفض الشهيد محمداقر الصدر ذلك ورفضت بنت الهدى وقدمت حياتها لتبقى الحوزة الدينية لعصية عن اختراقها.

السؤال: ما هي مواصفات مدرسة بنت الهدى؟

مدرسة بنت الهدى واضحة من حركتها مستقلة الإرادة والاختيار ورغم ضعفها المادي والاجتماعي إلا أن إرادتها قوية في ان تتوفق لتبلغ اعلى درجات الكرام وقد ساعدها اﻻ على ذلك والحمد ﻻ رب العالمين.

تم اعتقال شهيدنا الأول محمد باقر الصدر رضوان ﻻ عليه في يوم 19 جمادى الأولى 1400 هجري الموافق 1980/4/5 ميلادي.

وبعد ثلاثة أيام من الاعتقال والتعذيب الشديد تم إعدامه مع أخته العلوية الطاهرة بنت الهدى وكان عمره الشريف 47 سنة وفي مساء يوم 1980/4/9 ، وفي حدود الساعة التاسعة أو العاشرة مساء قطعت السلطة البعثية التيار الكهربائي عن مدينة النجف المقدسة وفي ظلام الليل الدامس تم دفنهما مصرجين بدماء الشهادة الطاهرة وعلامات التعذيب واضحة على الجسدين الشريفين في مقبرة وادي السلام المجاورة للمرقد الشريف للإمام علي (عليه السلام).